المصطلح اللساني عند كمال بشر

د. نبال نبيل نزال *

E.mail: to.nibal@yahoo.com

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب –جامعة الزيتونة الأردنية
المملكة الاردنية الهاشمية

المصطلح اللساني عند كمال بشر[1]

د. نبال نبيل نزال

الملخص:

يعدّ كمال بشر من أوائل الذين تركوا أثرا في الدرس اللساني الحديث فقد أثرَت مصطلحاته الدرس اللساني عامة، ولدرس الصوتي خاصة، سواء أكانت المصطلحات تراثية أم أجنبية، بالإضافة إلى مصطلحاته الخاصة التي ارتضاها من بعده العلماء والمجاميع اللغوية.

ولم يكن بشر من الذين يقتبسون المصطلح اللساني كيفما كان، إنما كان يضعه تحت مجهره، معدّلاً ومضيفاً ومعقباً، سيما تلك المصطلحات الأجنبية الوافدة، إذ كان يحاكمها، ويفاضل المصطلح المترجم عليها، ثم يوظف مشتقاته وتصريفاته؛ كونها أفضل وقعاً على الأذن العربية، وأسهل استعمالاً على اللسان العربي.

فقام البحث برصد مصطلحات هذا العلَم من مظانها، وتقسيمها إلى قسمين أساسين، وسم الأول منهما بالمصطلحات الداخلية، والآخر بالمصطلحات الخارجية، واصفاً ما فعله بشر، ليصل إلى الكيفية التي جعلت مصطلحاته متداولة في الدرس الصوتي الحديث، ثم استطاع أن يحلل الإشكالية الاصطلاحية التي وقع فيها صاحبنا كغيره من اللسانيين، نتجت من عاملين؛ أولهما ما جاء من ظروف خارجية أودت بمصطلحه إلى الترادف الذي أوقع معظم اللسانيين العرب فيه، والثاني كان لمنهجية خاصة عند بشر في توظيف مصطلحاته ومعالجتها.

مصطلحات أساسية: كمال بشر، المصطلح اللسانيّ، المصطلحات الداخليّة، المصطلحات الخارجيّة.

Kamal Bishr Linguistic Terms

Dr. Nibal Nazzal

Abstract:

Kamal Bishr is one of the first to participate in modern linguistics. We find his terminologies are clear and* confidence in the linguistics and phonetic studies especially. In this connection, the schoolars; adopted it, by the attention for the linguistic term and its creation especially, those foreign terms, always depend up on the translater term for easy use in the Arab tongue, so this research collect the terms of this world and livided into two parts:

- internal terms.
- foreign terms.

At least, to get to the terminology of voice which is more using, even give more attention on its methodology.

Keywords: Kamal Bishr, Linguistic Terms, internal terms, Foreign terms.

فاتحة البحث:

إن الفلسفة القائمة على دراسة المصطلح اللساني بين التأصيل والتعريب تكاد تكون أشبه بمن يمسك مادة لزجة يصنفها في قوالب مختلفة الأشكال، فبعدما كان لكل مصطلح جذوره الراسخة في بواطن اللغة أصبح يعيش في حالة من الفوضى والاضطراب؛ لتشعب موارده، والجرأة في إطلاق المصطلحات الشخصية، والخلافات الاصطلاحية بين المؤسسات أو المجامع اللسانية أو الأفراد، أو مكاتب التنسيق والتعريب.

فالمصطلح اللساني الحديث شأنه شأن المصطلحات العلمية والتقنية الوافدة، نشأ في الحضارة الغربية، وتكونت مصطلحاته ثمة، متأثراً بفكرهم الحضاري، وأهدافهم الاقتصادية، ونظرياتهم العلمية والمعرفية، وبطبيعة المنظومة اللغوية المتجددة يوماً عقب يوم. ونحن مازلنا نعاني من نكسة في العطاء الحضاري، وإن كان بعضنا قد أشرقت شمسه هنا وهناك، فالفكر اللساني العربي المعاصر لم يساهم كل المساهمة في تشكل الوعي المنهجي؛ فهو لم ينتج المعرفة اللسانية الحديثة، وما انبثق عنها من مصطلحات ومفاهيم، فما نزال في وضع التلقي والاسترفاد كما هي النظرة العالمية لواقعنا المعاصر.[2]

ونظراً إلى السرعة المتزايدة في إنتاج المصطلح واصطناعه وانتقاله من حقل إلى آخر في اللغات الأخرى رجعنا إلى أنفسنا فشدهتنا المؤسسة المصطلحية اللسانية بشكل خاص، فضلاً عن المؤسسة المعرفية والتقنية بشكل عام، فبتنا الآن في صراع بين القديم التراثي والجديد المستحدث، ننهل من هذا وذاك، فإذا تركنا الموروث ضعنا، وإذا غفلنا عن الحديث أدركتنا معارف كثيرة. لكننا بهذه القولة لا نتهم لغتنا العربية أو علماءها، فيكفيهم فخراً أنهم ساهموا ناقلين ومترجمين للمعارف، سيما على صعيد المصطلحات اللسانية. وما تفعله مؤسسات الترجمة والمجامع اللغوية ومكاتب التنسيق وحتى الأفراد وحدهم محاولة لتأصيل المصطلحات اللسانية وتعريبها وترجمتها، أما المصطلحات العربية التراثية فقد تشكلت وأخذت مواقعها في العلم اللساني القديم كالمبتدأ والفاعل، والاستعارة والكناية، وغيرها... ومازالت. ولطبيعة لغتنا الاشتقاقية فإنه يمكن صكّ مصطلحات لا حصر لها عن طريق المجاز والاشتقاق والتصريف والتوليد والنحت والتركيب...، ولا ضير من الترجمة والتعريب كذلك، إذ لا بدّ من الطريقتين لتفعيل التواصل اللغوي بين الحضارات والأقوام.

وما أشبه صنيع علمائنا اليوم بما فعله علماء الأمس، فمنذ بداية الأربعينات من القرن الماضي بدأت حركتا الترجمة والتعريب على يد جِلّة من العلماء الموفدين إلى الغرب، كفرنسا وبريطانيا، أمثال علي عبد الواحد وافي، وتمام حسّان، ومحمود السعران، وكمال بشر... وغيرهم. أخذوا من المصطلحات الغربية فوَزَنوا، محاولين قصارى جهدهم، ولكنهم كانوا بين سندان المصطلحات المتدفقة الغربية؛ ومطرقة الترجمة والتعريب، ولا بدّ منهما. فهل كان بشر من المؤصّلين للمصطلحات التراثية، أم من المعرّبين؟ أم ممن حاولوا ترسيخ منهجية للمصطلحات وفق ما تقتضيه الضرورة؟

لذا؛ حاولت الدراسة جاهدة أن تحتذي المنهج الوصفي التحليلي باستنطاق المصطلحات اللسانية

عند كمال بشر من بواطن إنتاجاته اللسانية، وتصنيفها في قسمَيْن، أولهما تلك المصطلحات الدخيلة أو الخارجية التي استرفدها أستاذنا من اللسانيات الغربية؛ لنتبيّن الكيفية التي عالجها بها، ومن ثم نقلها لنا. والقالب الآخر مصطلحاته اللسانية الداخلية، التي من خلالها استطاع أن يؤصل للمصطلح اللساني العربي مكانه في العربية؛ فبشر لم يكن من أولئك الذين استهوتهم المصطلحات الغربية.

القالب الأول: مصطلحات كمال بِشر الخارجية:

مازالت اللغة العربية في دور المستهلك للمعارف اللسانية الحديثة، وما ينبثق عنها من فكر ونظريات؛ لذا نحن نواجه دائماً سيلاً لا ينقطع من المصطلحات الأجنبية الوافدة، فكان لا بدّ من إيصال ما توصّل إليه الغرب؛ حتى نستطيع مواكبة المستجدات، وكيف يمكننا ذلك إلا عن طريق الترجمة كما فعل العرب القدماء من قبل، فنقلوا الإنتاج اليوناني والفارسي والهندي، وكانوا على وعي بما نقلوه، فبدؤوا بترجمة كتب العلوم والرياضيات والطب، كونها تخدم العلوم الإنسانية، ثم قولبوها وهضموها بفكرهم العربي، حتى وصلت إلينا على ما هي عليه، واستطاعوا أن يعرّبوا العلم الدخيل بمصطلحاته، آخذين منهم مستفيدين، ولا يخفى على أحدنا صنيع حنين ابن إسحق الذي ترجم ما يزيد من مئة كتاب يوناني.

فترجمة المصطلح إلى العربية – كما جاء عن الفهري: تقتضي وضع مقابل عربي للمصطلح الغربي، وهو ما قد يتعذر الحصول عليه في شكل كلمة واحدة إذا كان المصطلح الغربي يكتسب جزءاً من معناه عن طريق ما التصق به من سوابق أو لواحق، وقد يضطر هذا المترجم إلى استخدام لفظين ممّا يجعل المصطلح صعب التصريف، ثقيلاً في الاستعمال. وإذا كان المصطلح معرباً فقد ينفر عنه الذوق العربي، وإن كان ممّا يخفف منه هذا النفور إعطاء اللفظ المعّرب الصبغة العربية، والنطق به على مناهج العرب، ويقتضي كذلك تماثلاً أو تشابهاً بين اللغتين في الأنساق الصوتية والصرفية، وهو لا يكاد يتوفر في لغتنا.

وعلى أية حال نقول كما قيل أن هاتين الوسيلتين هما الطريق الأقرب منالاً، والأدنى ثمرة لتضييق الفجوة العلمية والثقافية بين العرب والغرب، وبما أن كمال بشر من المطلعين على الثقافة الغربية، ومن الدارسين في جامعاتها؛ فقد كانت لمصطلحاته الخارجية (ونقصد المترجم منها والمعّرب) النصيب الأكبر في صياغة مصطلحاته اللسانية. نوجزها في الآتي:

المصطلح المترجم: يقوم بشر بترجمة المصطلحات الإنجليزية – وهي لغة مصدره – إلى اللغة العربية– وهي لغة الهدف وذلك بطريقتين:

الطريقة الأولى: تساوي الوحدات الاصطلاحية؛ فيقابل وحدة اصطلاحية لسانية غربية واحدة بوحدة اصطلاحية لسانية عربية واحدة، أو مقابلة مصطلح غربي من وحدتين لسانيتين بمصطلح عربي ذي وحدتين لسانيتين. نحو:

stops: الوقفات، verbals: الفعليات، Fricatives: الاحتكاكيات، Speech: الكلام، language: اللغة، accent: اللُكنة، voicing: الجهر

Raising tone: نغمة صاعدة، Falling tone: نغمة هابطة، Strong stress: نبر قوي، Deep structure :البنية العميقة، Surface Structure: البنية السطحية، Front vowels :الحركات الأمامية، Syllable structure التركيب المقطعي.

الطريقة الثانية: تضخم الوحدات الاصطلاحية العربية المقابلة للمصطلح الغربي، وغالباً ما تعتمد هذه الطريقة على التركيب الإسنادي، أو الوصفي، أو الإضافي. في مثل:

consonants: الأصوات الصامتة، distribtional: المنهج التوزيعي/ نظام توزيع النبر في الجملة، rolled: أصوات التكرار، Stressless languages: لغات غير نبرية، physiological علم الأصوات العضوي، transmission: جانب الانتقال أو الانتشار في الهواء.

وهذا الأمر طبيعي، فنحن حين نترجم من لغة المصدر إلى لغة الهدف –العربية– لا نترجم حتماً السابقة بسابقة، أو اللاحقة بلاحقة أخرى. وقد ارتكزت منهجيته في ترجمة مصطلحه بوسائل عدّة، منها:

- ذكر المصطلحين المترجم والدخيل مقابل المصطلح الغربي، (وهذا من باب الترادف وسنشير له في إشكالية المصطلح عنده لاحقاً)، وذلك في معرض حديثه عن جوانب أصوات الكلام ذكر أن "(الجانب النطقي) (articulatory aspect) وهو ما يشار إليه كذلك (بالجانب الفسيولوجي) أو (العضوي للأصوات) [3]" (physiological aspect)
- مفاضلة المصطلح المترجم على المصطلح الدخيل: فمثلاً علم الأصوات الفيزيائي يفاضله على علم الأصوات الأكوستيكي، لسببين، أحدهما أن مصطلح الأكوستيكي لا يمكن ترجمته ترجمة دقيقة إلا بعبارة طويلة، والسبب الآخر المصطلح الدخيل ينسب إلى (acoustic)، وهو فرع من الفيزياء (physics)، ومن ثم كانت الإشارة إليه أحياناً بالمصطلح الآخر وهو علم الأصوات الفيزيائي، وذلك من باب إطلاق العام وإرادة الخاص.[4]

ورأى في موضع آخر أنه جرى نفر من الدارسين على توظيف المصطلح الإنجليزي (accent) مرادفاً للمصطلح (strees) وذلك بنطق مقطع من المقاطع بصورة أجلى وأوضح من بقية المقاطع[5] ثم حكم قائلاً: "وهذا التوظيف في حقيقة الأمر فيه قدر كبير من التجاوز وعدم الاستيعاب الكافي لمفهوم المصطلحات"[6] فالمصطلح (accent) من وجهة نظره له مفهومان في الدرس الصوتي الدقيق؛ لذا ارتأى أن يكون أقرب مصطلح عربي للمصطلح الإنجليزي (accent) هو (اللُكنة)، وليست الترجمة المقابلة الخاطئة غير الدقيقة (اللهجة).[7]

- محاكمة المصطلح المترجم عند الآخرين: فهو يرفض ترجمة المصطلح الغربي (acoustic phonetics) بـ(علم الأصوات السمعي) للذين عدوه من باب التوسع في معناه، أو في الحقل الدراسي الذي يعرض له، وقال: "هذا في رأينا ترجمة غير دقيقة"[8] وعزاه إلى سببين: الأول أن الاصطلاح الإنجليزي إنما يطلق الآن على دراسة طبيعة الذبذبات. والثاني: أن هذه الترجمة تؤدّي إلى الخلط بين هذا الفرع والفرع

الآخر (auditory phonetics) (علم الأصوات السمعي)[9]

- نسبة المصطلحات المترجمة الغيرية إلى أصحابها أحياناً، والإشارة إلى المصطلحات الذاتية إلى نفسه كذلك. من قبيله: يرى أن الترجمة إلى (علم وظائف الأصوات) مقابل المصطلح (Phonology) من عمل المرحوم د.محمد أبو الفرج في كتابه فقه اللغة، ويرى أنها أوفق ممّا فعل هو[10]، وتمام حسان قد وفّق كذلك في ترجمة المصطلح ذاته إلى (علم التشكيل الصوتي)[11]. وقد أشار إلى أن ترجمة المصطلح (Prosodic Features) بالمصطلح المقابل له (الظواهر التطريزية) ترجمة موفقة من صنع زميلنا حسان كذلك[12]

وتراه في مواضع أخرى يقول:

- "أطلقوا على هذه الأصوات الأربعة (r,n,m,l) المصطلح (أشباه الحركات) [13](vowels-like consonants)"

- أما ما نسبه إلى نفسه فمنه: ترجمة "(علم الأصوات التنظيمي) مقابل المصطلح (Phonology) حين يقول: وهذا من صنعنا، وانظر كتابنا قضايا لغوية 1962[14]، والمصطلح الذي أردناه هو (علم التراكيب) وهذا يقابلالمصطلح الأجنبي (Syntax)[15]".

- والمصطلح (Taxonomics) "ما سميناه (علم اللغة التصنيفي)"[16]

يقابل تصريفات المصطلح الغربي بتصريفا للمصطلح العربي المقابل: (الجهر) المصدر من جهر يقابل (voicing) و(المجهور) اسم المفعول مقابل (voiced)[17] ونحوه (النبر) مصدر نبر يقابل (strees) و(المنبور) اسم المفعول يقابل (streesed)، و(لغات نبرية) اسم النسبة + التاء يقابل (strees languages)، و(لغات غير نبرية) تقابل[18](streeslees languages).

- يترجم المصطلحات الغربية المترادفة بمصطلحات عربية مترادفة كذلك، نحو:

instrumental) or (laboratory phonetics) experimental) بـ: (علم الأصوات التجريبي) أو (الآلي) أو (المعملي)[19] و(physiological phonetics or articulatory) بـ(علم الأصوات النطقي) أو (الفسيولوجي)[20]

و(mechanistic or behaviouristic) مقابل (المنهج السلوكي) أو (الآلي)[21]

- **المصطلح الدخيل:** يتم هذا المصطلح عن طريق الاقتراض أو التعريب، إذ ينقل المصطلح بلفظه من لغة المصدر من دون إجراء أي تغيير على لفظه، أو بإحداث تغيير بسيط، وقد اضطر اللسانيون إليه؛ "لأن مفاهيم المصطلحات أو تصوراتها لم تقم في أذهان لغويي العرب"[22] فنقلوا اللفظ من لغة المصدر بإحداث تغيير على لفظه حتى يتناسب والأنساق العربية الصوتية والصرفية. وقد لجأ إليهما بشر عندما يكون المصطلح الدخيل مشهوراً في الوسط اللساني، أو إذا أُشكل المصطلح في نقله عن طريق الترجمة. يقول عن (علم المعنى): «نفضل الاسم (السيمانتيك)

معرّب الكلمة الفرنسية (semantique)، إذ قد اشتهر أخيراً بين الدارسين العرب»[23]، ويضيف: إن (علم المعنى) أو (السيمانتك) جاءت من الكلمة الإغريقية sema بمعنى علامة أو دليل.[24] ومن المصطلحات التي وضع لها المقابلات العربية(المورفيم morpheme): (مورفيم)، (صيغم)، (وحدة صوتية)، (مورفيمية)، (صرفية)، (صرفيم)...[25] ومن المصطلحات المعرّبة عنده (الفنولوجيا phonology و(الفوناتيك phonetic) فيقول: "آثرنا تسميتهما هنا بطريقة التعريب لا بالترجمة قصداً إلى الدّقة في التعبير"[26] وربما كان لهذه الطريقة القدرة على تصريف هذه المعربات كأن يقال: فنولوجية، وفنولوجيات،...إلخ من الاشتقاقات "حتى يظهر المصطلح محدداً مرناً" كما ذكر السعران[27]

ومن الملاحظ أن بشر لم يعوّل على المصطلح الدخيل كثيراً، فما كان عنده من المصطلحات اللسانية الانتقائية إلا النزر اليسير لا يكاد يتجاوز عدد الأصابع، في مقابل المصطلحات المترجمة أو المشتقة التي تكاثرت عنده وتجاوز كل نوع منها المئة. وهذا يدلّ على أن أستاذنا من الذين تجذبهم المصطلحات العربية، وتوظيف مشتقاتها وتصريفاتها؛ فهي أفضل وقعاً على الأذن العربية، وأسهل استعمالاً على اللسان العربي.

وينحو بشر بالمصطلح الدخيل منحيين:

- **المنحى الأول**: الدخيل الصريح بطريق المباشرة؛ وهو مقابلة المصطلح الغربي بمصطلح عربي. ومنه: تعريبه للمصطلح الإنجليزي (phonetics) إلى (الفوناتيك) في سياق المقابلة بينه وبين الفنولوجيا، وليس المصطلح الفرنسي الذي يغلب على إطلاقه عند الفرنسيين وبخاصة في البحوث التقليدية على الدراسات الصوتية الوصفية في مقابل التاريخية التي يسمونها عادة (phonetique historique) سواء أكانت فونيتيكية صرفية أو فوناتيكية وفنولوجية معاً؛ ولذا فضّل التعريب على الترجمة فقال: (علم الأصوات)[28] وهذه الصورة العربية تناسب المصطلح الإنجليزي الآخر وهو (general phonetics)[29]
- **المنحى الثاني**: الدخيل المركّب بطريق غير المباشرة: ويكون المصطلح مكوناً من شقّين؛ أحدهما دخيل، والآخر مترجم. نحو: (المستوى الفنولوجي)، و(التحليل الأكوستيكي)، و(مورفيمات الإعراب)، و(الفنولوجيا التاريخي).

ومن الملاحظ أن بشراً عندما يصطلح على مصطلح دخيل يذكر المراد من مفهومه، وهذا أسلوب مريح للقارئ أو الدارس؛ حتى يبعد عنه أي لبس يتوقع، وأن يفهم المراد من المصطلحات الجديدة عليه. كأن يقول: (المورفيم) أصغر وحدة صرفية ذات معنى على مستوى التركيب...[30] و(الجرامتيكا): يعدّ علماً مطابقاً لما يعرف (بالجرامتيكا grammar)، أو ما يمكن أن نسميه (علم القواعد)... يقول الخوارزمي في مفاتيح العلوم: هذه الصناعة تسمّى باليونانية (غرماطيقي)، وبالعربية (النحو)، و(غرماطيقي) تعريب للكلمة اليونانية التي تقابل المصطلح الإنجليزي[31](grammar).

أما المصطلحات الدخيلة الأخرى نحو (الجانب البراديجماتيكي pradigmatic) مقابل (الجانب السنتجماتيكي (syntagmatic)، و(الدياكروني) مقابل (السينكروني)، فيوظفها معربة أو يجاورها بالمصطلحات المترجمة المقابلة لكل منها. وهي على التوالي: الجانب الرأسي، والجانب الأفقي، والنظرة التاريخية، والنظرة الوصفية. ثم وظّفها في استخداماته مصرفاً، كأن يقول: الفكرة السنكرونية أو الوصفية مقابل الدياكرونية أو التاريخية[32]، والمنهج السنكروني والمنهج الدياكروني، وعلاقة أفقية سنتجماتيكية، وعلاقة شكلية أفقية سنتجماتيكية[33]

وأحياناً يفسّر المترجم بالمعرب، نحو: العلاقات في النظام اللغوي علاقة رأسية أي برادجماتيكية[34] وأحياناً أخرى يدع المصطلح المترجم يفسر ذاته: ... على المستويين الأفقي والرأسي... العلائق الأفقية والرأسية [35]... وهكذا.

لم يضع بشر منهجية ثابتة لتوظيفه المصطلحات، فمّرة معّربة، ومرة مترجمة، ومرّة ثالثة يقرنهما، وهذه الفوضى تربك القارئ وتلجئه إلى العودة إلى المصطلح المقصود من البداية، فلو أنه استخدم المترادفات لكان أفضل، ويبدو أنه هو نفسه متردد في المصطلح المقابل للمصطلح الغربي، أو أن مفهومه مازال بكراً، لم يستقرّ بعد في فكره، ويحتاج إلى المزيد من الوضوح. فليس من عادته أن يستخدم المصطلح دون مفاضلة وفق الطريقة التي يراها مناسبة، ومن ذلك يقول: "علم الأصوات من حيث ارتباطه بالزمن إما (سينكروني synchronic) أو (دياكروني diachronic)، ويعنى الأول بدراسة اللغّة المعنية في مرحلة زمنية محددة لايتعداها، ويسميه البعض (علم الأصوات المتزامن synchronic phonetics) لتوضيح فكرة المعاصرة ووحدة المرحلة الزمنية في مقابل (علم الأصوات الدياكروني phonetics diachronic) الذي يتضمن تعدد المرحلة الزمنية ، والذي ينظر في أصوات اللغة من مرحلة إلى أخرى بملاحظة تطورها وما أصابها من تغيير في مسارها التاريخي[36]" ثم يشير إلى أن البعض يطلق مصطلح (علم الأصوات الوصفي) descriptive على (علم الأصوات السنكروني على أساس أن الوصف من أهم خواصه، كما قد يشار إلى علم الأصوات الدياكروني (بعلم الأصوات التاريخي) historical or evalutionary phonetics لارتباطه بمراحل متعددة من التاريخ، وبفكرة التطور كذلك[37] ... وهكذا

الدخيل المركّب: وهذا النوع من المصطلحات يعدّ فرعاً للمصطلح الدخيل، لكنه يتسم بالتركيب، فيكون أحد شقيه دخيلاً، والشق الآخر مترجماً أو مشتقاً. ومن مصطلحات بشر:

- دخيل + مترجم أو مترجم + دخيل:

الفنولوجيا المتزامن synchronic phonology

الفنولوجيا التاريخي phonology diachronic

فنولوجيا تطريزية phonology prosodic

العلاقات البراديجماتيكية pradigmatic

الجانب الفسيولوجي للأصوات physiological aspect

الفونيم الثانوي secondary phoneme

- دخيل + مشتق أو مشتق + دخيل:

مورفيم التعريف

مورفيم التنكير

المنهج السنكروني

أسس فنولوجية

التحليل الأكوستيكي

مورفيم النوع (التذكير والتأنيث)

مورفيم العدد (التثنية والجمع)

ولجأ أستاذنا إلى هذا التركيب كون بعض الوحدات اللسانية من المصطلح الغربي لا يوجد لها مقابل مفرداتي أو وحدات لسانية مقابلة في اللغة العربية، أما الشق الثاني فله مقابل عربي، وعلى سبيل المثال كلمة (secondary) لا تلفظ معرّبة لأن لها مقابلاً عربياً وهو (ثانوي)، أما (phoneme) فنقل عن طريق التعريب، فبات المصطلح مركباً وهو (الفونيم الثانوي) ...وهكذا

القالب الثاني: مصطلحات كمال بِشر الداخلية:

ربما تكون القولة الشائعة بين علمائنا اليوم أن المصطلحات اللسانية التي تعتمد على الاشتقاق أو الصيغ الاشتقاقية أكثرها مهمل مهجور، ويرون أن علاج هذا الأمر هو استخدام الصيغ في الاستعمال الاصطلاحي؛ وذلك باستعراض صيغ الاشتقاق جميعها، واستقراء السمة المعنوية المشتركة الغالبة في كل صيغة، ثم إفراد كل صيغة لما تلائمه من معنى[38].

لكن ما تحفل به معظم الكتب اللسانية الحديثة ومجهودات أصحابها من مصطلحات قد لا تؤيد ما جاء في الشق الأول من القولة، فالمطلع على المصطلحات اللسانية في جهود اللسانيين المحدثين يرى أن نسبة المصطلحات الاشتقاقية تفوق نسبة المصطلحات اللسانية الدخيلة أو المعربة، سواء أكان ذلك عن طريق المصطلح اللساني الأصيل أم المولّد أم المترجم[39] فعلى سبيل المثال وينظر: المصطلحات اللسانية في أعمال إبراهيم أنيس، وتمام حسان، ومحمود السعران، ومحمود فهمي حجازي، وكمال بشر من المشارقة، وينظر كذلك في أعمال اللسانيين المغاربة أمثال صالح القرمادي، ومحمد رشاد الحمزاوي، وعبد السلام المسدي، والفاسي الفهري، وإن كانت بعض مصطلحاتهم – سيما المغاربة- تميل إلى الغريب على الأذن العربية لكنها تخضع للأوزان الصرفية العربية، نحو التبئير، وصِواتة، وحيز التسوير[40]، والتحشية، والمؤالفة، والتحوير، والتنميط[41] حتى آل ببعضهم المآل إلى استخراج المجهول أو الغريب من بطون المعجمات التراثية، مثل صنيع الهاشمي في (معجم الدلائلية)، يقول: «الشعر فن مستقيم الصوب، أو صويب، في حين ان الفن التشكيلي مثلاً عكس ذلك إنه عُرْضي، وقد استخرج لفظ عرضي من مقاييس اللغة لابن فارس 275/4 من قولهم: ناقة عُرْضية إذا كانت صعبة، ومعنى هذا أنها لا تستقيم في السير بل تعترض، ومصطلح (صويب) يقابل المصطلح (عرضي)»[42]

ولعلّ ما أدّى بهم إلى هذا الأمر حرصهم على تأصيل المصطلح العربي، وتوليد ما أمكن من الألفاظ اللسانية على الأوزان الصرفية العربية المستخدمة، ومن أجل تنحية المصطلح الدخيل قدر إمكانهم، رغم أن هذه المقولة فيها نظر: فأيّهما أفضل استخدام الحوشي الغريب من الألفاظ العربية ومع كثرة الاستعمال يصبح المصطلح مألوفاً، أم توظيف

المصطلح الدخيل أو المعرّب المشهور الشائع فيترك العربي الأصيل!

أما كمال بشر فابتعد عن الغريب والمجهول من اللغة، ولا نكاد نجد عنده هذا اللون من المصطلحات، وتلتبس مصطلحاته صفة المرونة في استخدام التصريفات عند الحاجة إليها، فهي طريقة أيسر وأسهل إذا قيل: صوتان شفويان وأصوات شفوية ، وحيزان، وأحياز وما إلى ذلك ، وقد وظف أستاذنا المصطلحات العربية عن طريق الاشتقاق والمجاز وتحديث المصطلح القديم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

1- المصطلح الاشتقاقي: وظفه بطريقتين سواء أكان أصيلاً أم مولّداً أم مترجماً:

الطريقة الأولى: استخدام وحدة لسانية اشتقاقية اصطلاحية واحدة، نحو:

(المصادر): السكون، الادغام، الإبدال، الاستراحة، التصريف، الانحباسية.

(النسبة): شفوي أو شفوية، حنكي أو حنكية، لثوي أو لثوية، أسناني أو أسنانية.

(الجموع): أحشاء، أحياز، مخارج، صوائت، المصوتات، الحركات

(صفة مشبهة): القصر، الطول، الحيّز

(اسم مفعول): مفخّم، مطّبق

إذن؛ حاول أستاذنا أن يوظف المصطلحات المشتقة من مصادر الثلاثي والمزيد والمصدر الصناعي، والنسبة للمفرد مذكرة ومؤنثة، والنسبة للجمع كذلك، واستعمال جموع التكسير والمؤنث السالم. ثم تنوّعت عنده الصيغ القياسية التي كان يميل إليها في كثير من الأحيان، فيصوّب غيره إذا حاد عن الجادة وفق ما يراه، ومن هذا القبيل ورد عنده استخدام المصطلحات الآتية: بنَوي، بنوية، بنيّون، بنيّين، وليست بنيوي أو بنيوية أو بنيويون أو بنيويين كما اشتهرت عند أغلب اللسانيين العرب وفي المعجمات كذلك[43]، ويعلّق على ذلك قائلاً: "ليست بنيوية، وصحتها بنوية، بنون مفتوحة بعدها واو غير مسبوقة بياء"[44] – مع أنه في موضع آخر يرى أنها قد تنسب إلى (بناء)[45]على زنة (فِعال) القياسية، ولكنه لم يوظفها في اصطلاحاته، وآثر النسبة إلى الأولى وليس كما نسبت عند اللسانيين العرب إلى (بنية) بصيغة المفرد، ولعلهم انتحوا هذا المنحى لما ورد في لسان ابن منظور أن النسبة إلى ابنة (بنوي[46] كذلك، وهذه الصيغة مماثلة لما ذهب إليه بشر .

الطريقة الثانية: استخدام المصطلح اللساني المركب تركيباً إسنادياً أو إضافياً أو وصفياً، وجميعها كانت مركبة اسمية وليست فعلية- ويبدو من ذلك أنه يميل إلى السهولة في صك المصطلحات المقابلة – سيما أن معظمها يناط بعلم الأصوات- ، كأن يمازج المشتقات أو يركب مشتقاً مع اسم جامد أو أداة:

(جموع تكسير): الحركات القصار، الحركات الطوال.

(جمع تكسير + نسبة): الأصوات الشجرية، الأصوات الشفوية، أسناني شفوي.

(جمع تكسير+ مصدر): أصوات الإطباق.

(اسم مكان + مصدر صناعي): المدرسة الاشتقاقية.

(جمع تكسير+ اسم فاعل مؤنث): الحروف الصائتة.

(مشتق + جامد أو أداة): موسيقى الكلام، ألف المّد، مابين الأسنان، ليست مجهورة...وهكذا

ويصنّظف الأصوات إلى مجهورة ومهموسة، أما في قوله عن صوت الهمزة بأنه (لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس)[47] فهل هذا من قبيل اصطلاح لوصف تركيبي؟ أم هذه عبارة تفسيرية توضيحية؟ فقد اشترط في المصطلح أن يكون قصيراً موجزاً دالاً على المفهوم المراد لكي يكتب له السيرورة، فإذا كان المصطلح ذا وحدات لسانية كثيرة عمد اللسانيون إلى الاستعاضة عنها بمصطلح أخصر؛ حتى يكتب له الديمومة وسهولة التوظيف، وتوليد التصريفات، كأن يقال اللسانيات بدلاً من علم اللغة الحديث أو علم اللسان الحديث، واللسانيات الاجتماعية بدلاً من علم اللغة الاجتماعي أو علم اللسان الاجتماعي، والفنولوجيا بدلاً من علم الأصوات الوظيفي أو علم وظائف الأصوات، والفنولوجيا النفسية بدلاً من علم وظائف الأصوات النفسي... وهكذا.

ونلمس أيضاً أنه وظّف المصطلحات التراثية القديمة إزاء المصطلحات الغربية وإن كانت عن طريق الترجمة، مثل: مجهور، مهموس، حنكي، حلقي، حنجري، حنجرة، أسناني، أحشاء... وقام بتوليد وحدات لسانية مركبة؛ كون التركيب يساهم في توليد وحدات لسانية قابلة للتبادل عن طريق الوصف أو الإضافة أو المزج أو العطف، كأن يقال (غير المنبور) بدلاً من (غير منبور) في المصطلح المركب (مقطع منبور)، أو تبادل الوحدات اللسانية: (المقارن/المعياري/التاريخي/الوصفي) بدلاً من (التقابلي) في المصطلح المركب (علم اللغة التقابلي)، ووحدات المصطلح المركب جميعها اعتمدت على الصيغ القياسية المتعارف عليها، مقابل المصطلحات المترجمة، ويمكن تصريفها أيضاً. منها:

(التركيب الإضافي): علم التراكيب، علم الدلالة، علم القواعد، غير القطعية، فوق التركيبية، أنصاف الصوامت، أنماط التطريز الصوتي، أشباه الحركات.

(التركيب الوصفي): علم اللغة التاريخي، علم اللغة المقارن، علم اللغة التقابلي، علم اللغة المعياري، علم اللغة التوليدي التحويلي، علم اللغة التقابلي، علم اللغة البنوي أو البنائي، الفواصل الصوتية، مقطع منبور، الأصوات الاحتكاكية، صوت مركب، الأصوات المتوسطة.

(التركيب العطفي): التوليدية والتحويلية، أصوات المد واللين.

(التركيب المزجي): أسناني شفوي، أسناني لثوي، أسنانية لثوية، حنكي قصي، لثوي حنكي.

والملاحظ على الوحدات اللسانية لهذه المصطلحات أن معظمها من المشتقات التي يمكن أن تولد صيغاً أخرى؛ وذلك لما تقوم عليه "عملية الاشتقاق على القياس، فيصبح المشتق الجديد – وإن كان عن طريق الترجمة- على وزن من الأوزان العربية القديمة، فيكون على نمط المصطلحات المألوفة الموروثة، ويصبح مقبولاً عند أبناء الجماعة اللسانية، ومعترفاً به عند اللسانيين، وبهذا المعنى

وصفه حجازي بأنه عملية قياسية هادفة إلى تكوين كلمات جديدة وفقاً للقواعد التي تقوم عليها الكلمات الموجودة في اللغة."[48]

2. **المصطلح المجازي:** ربما يجمع اللسانيون على أن المصطلح المجازي لايخضع لقاعدة، فهو يعود في نهاية الأمر إلى الاشتقاق، وينحصر عموماً في تطوير كلمة من معناها الأصلي أو القديم إلى معنى جديد[49] وممّا جاء عند بشر في هذا أنه وظف بعض المصطلحات القديمة بمفهوم مجازي إزاء المصطلحات الغربية الحديثة، نحو: المجهور والمهموس، وأحشاء[50] ويستخدم كذلك الأصوات الشجرية نسبة إلى شجر الفم[51]، ومواضع النطق أو مخارجه[52]

3. **المصطلح القديم المحدّث:** من الملاحظ أنه يستأنس ببعض المصطلحات التراثية التي كانت لها استخداماتها ومفاهيمها، فأضاف إليها مفهوماً آخر، ووظّفه من وجهة نظر حديثة، ومنه (السكون) الذي يعدّه حركة من حيث القيمة الوظيفية لا النطق، وذلك لأنها تبادل المواقع والوظائف مع الحركات المعروفة[53] قال: "وهو تقييم لم يسبقنا إليه أحد من المحدثين"[54] ويقول في موضع آخر: "استشرنا منهج الأوائل في التصنيف ومعاييره... وفي باب الحركات بالذات أخذنا بمصطلحاتهم في جملتها، فالحركات عندهم هي الفتحة والكسرة والضمة، وقد تمتدّ نطقاً في صورة ألف مدّ ويائه وواوه، ولهذه السمة الامتدادية التي تشير إلى التماثل في النطق باستثناء الكمية (القصر والطول) أطلقنا على القبيلين اسم الحركات في عملنا هذا، فهي ثلاث حركات من حيث التسمية... ولكنها ست من حيث الوظيفة"[55]

ولم يرَ ضيراً بهذا في استعمال المصطلح القديم مقابلاً للمصطلح الغربي الحديث (vowels)؛ لأنه وظّف المصطلح بمفهومه الجديد شارحاً وموضحاً، ثم أردفه بمصطلحات حديثة وهي: (المصوتات) مفردها مصوّت وهي من صوّت، وترادف (حروف المدّ) أو (الحركات الطويلة)، أو هي حروف صائتة جمعها (صوائت)، وهي من صات [56].

ثم أطلق مصطلح (الحركات) على جميع ما اندرج من صفاتها، مثل:

الحركات المعيارية cardinal vowels

الحركات الأمامية front vowels

الحركات الخلفية back vowels

الحركات الوسطى أو المركزية central vowels

الحركات الضيقة close vowels

الحركات المتسعة أو المنفتحة open vowels

الحركات نصف الضيقة half close vowels

الحركات نصف المتسعة open vowels half

واستخدم (المقطع) مقابل (syllable) الذي ورد في التراث العربي عند ابن جني والفارابي، وإن بمعانٍ مختلفة[57]، ووظفه كذلك في: (المقاطع) مقابل (syllables)، و(أحادية المقطع): (monosyllable)، و(متعددة المقاطع):[58] (polysyllable) ثم وصف المقطع بأنه: مقطع قصير، مقطع متوسط، مقطع طويل، مقطع مفتوح، مقطع مغلق[59].

ويوظّف المصطلح القديم (حيّز) وجمعه (أحياز) بعد أن وضّح مفهومه الجديد في دلالته على

المنطقة التي قد ينسب إليها صوت أو أكثر فتنعت به، على ضرب من التعميم، وإن كان لكل صوت نقطة مخرج محددة، ثم فرّق بينه وبين المخرج، معلقاً أن التفريق بين المصطلحين قد نبهنا إليه شيخ العربية الأول الخليل، ونسب الأصوات إلى مخارجها أو أحيازها[60].

إشكالية المصطلح عند كمال بِشر:

إن كثيراً من المؤلفين يضع جوار المصطلح الأجنبي عدداً من الكلمات العربية، وكأنه يترك للقارئ حرية الاختيار والمفاضلة بينها، ولا يخفى أن أيّاً من هذه الكلمات لا يصح أن تسمّى مصطلحاً على حد تعبير مبارك؛ لأن المصطلح يشترط فيه التوحد وعدم الإباحية، وإلا فليصطلح كل نفر على كلمة، أو فليُبحْ كل كاتب لنفسه ما يراه دون سواه[61]

وربما نتفق جميعاً على بعض ما جاء في هذه القولة، ونختلف في الوقت ذاته، فنحن نعي ما واجهه علماؤنا في بداية عهدهم بالترجمة – ومازالوا-، وما أخذته المصطلحات من جهودهم على الصعيدين التقني والعلمي، فكانوا بين الكم الهائل من التدفق الاصطلاحي، والضرورة لنقل المعارف والمصطلحات لكن دون وجود نظرية أو استراتيجية اصطلاحية موحدة آنذاك، فنتجت إشكاليات وقعنا فيها جميعاً، على الرغم من جهود مؤسسات الترجمة، ومكاتب التنسيق والتعريب، والمجامع اللغوية، والمعجمات العربية الحديثة المتخصصة، والمؤتمرات اللسانية في المشرق العربي ومغربه، وجميعها حاولت ومازالت تحاول حتى اللحظة أن تتكاتف – كما تفعل الآن؛ لتخرج لنا المصطلح الموحد، "ذلك الرمز الذي يستخدم للدلالة على مفهوم في أي موضوع ذي طبيعة خاصة، بحيث يجانب الترادف والاشتراك اللفظي والالتباس في اللغة العلمية أو التقنية"[62].

والأمر الآخر الذي أثقل كاهل علمائنا هو إشكالية المصطلح عند الغرب، وهذا في حد ذاته أنتج نوعاً من الفوضى الاصطلاحية العربية، فالمصطلح الواحد عندهم له أكثر من مفهوم، ووجود أكثر من مرادف لمصطلحاتهم، "وترى كابيلا إسبوني – باحثة إسبانية متخصصة في الترجمة القانونية- أن إيجاد المكافئات المصطلحية قد يكون أكثر صعوبة من حقول التخصصات الأخرى، وذلك نظراً لرلختلاف النظم القانونية من بلد إلى آخر، وهذا ينعكس على طبيعة المصطلحات عند ترجمتها إلى لغة أخرى، وتصبح المسألة مزيجاً من إشكالية إيجاد المكافئ المصطلحي المناسب والدراسات اللسانية التقابلية. وما أثارته إسبوني على المصطلح القانوني فإنه يقع دون شك في إشكالية المصطلحات بشكل عام"[63].هذا بالإضافة إلى عدم وجود مكافئ مفرداتي عربي للمصطلح الحديث الذي انبثق عن الغرب وفكرهم ونظرياتهم الخاصة بهم وفق ما تقتضيه أنظمتهم اللسانية، فكان لسانيو العرب أمام أمرين كلاهما مرّ؛ إما أن يأخذوا المصطلحات الغربية كما هي، أو أن يعطوا معناها بشرح المفهوم الجديد وتوضيحه وتفسيره. وكل ما سبق ذكره أوقع اللسانيين العرب – بشكل خاص- في وحل إشكاليات المصطلحات، فما كان أمامهم سوى فرش البساط أمام

المصطلحات بإشكالياتها، أو أن يعودوا أدراجهم بخفيّ حنين.

لم تكن إشكاليات المصطلح بعيدة عن مصطلحات كمال بشر، فهو أحد اللسانيين الذين نقلوا الفكر اللساني الغربي، سيما في المجال الصوتي، وقد صارع المصطلح والفكر الغربيين مدة أربعة عقود حتى قال في مقدمة طبعته السادسة عشرة لكتابه علم الأصوات بأنه "سيؤدي بشرح ما أجمل، وتفصيل ما أضمر، وتعميق ما لم ينل حظه من الوفاء بحقه، والتدقيق في مفهوم بعض المصطلحات التي فاتنا أن نوفيها حقها من النظر والتأمل، وتعديل ما تجاوز ووقع منا في تفسير ما قصدوا إليه، ومن ثم كان من الحتم وضع الأمور في نصابها الصحيح، واستتبع هذا الأمر مراجعة بعض الأفكار المتعلقة بهذا المصطلح"[64]

ولم يكتفِ بالوقوف على المصطلح الغربي فحسب، بل حاور المصطلح التراثي كذلك، مفصلاً وشارحاً، ومقلداً تارة ومجدداً أخرى. يقول: "وقد دفعنا هذا النهج إلى العودة مرات ومرات إلى ما خلّفه لنا السالفون من رواد التفكير اللغوي، اقتبسنا الكثير، وأفدنا، وقلبنا الأمورعلى وجوهها المختلفة، وظفرنا من ذلك كله بتحقيق مبدأ سام ننشده دائماً، ونسعى إلى تأكيده. ذلك المبدأ هو ضرورة ربط القديم بالجديد"[65] ولا يفعل ذلك إلا من تجذرت عنده لغته، -وهي العربية لغة المصدر-، وامتلك ناصيتها ، ثم اشتد ساعده بلغة الهدف، وهي اللغة الإنجليزية التي أتاحت له دراستها، فتمخضت عنده المصطلحات عربية وغربية، أو تراثية ومعربة، وكانت في ثنايا أعماله أشبه ما تكون بظاهرتي المدّ والجزر.

لذا؛ يمكن قراءة أهم إشكاليات مصطلحاته من خلال عاملين رئيسيين، أحدهما خارجي والآخر داخلي:

العوامل الخارجية: ونقصد بذلك ما نتج عن الظروف الخارجية التي أودت بمصطلحه إلى الترادف الذي أوقع معظم اللسانيين العرب به، ومنها نذكر:

1- عدم وجود مكافئ مفرداتي لساني عربي مقابل المصطلح الغربي الجديد، نحو ما كان من أمر المصطلح الغربي (phoneme) الذي قابله بالمصطلحات الآتية: (الفونيم): معرباً، وبـ(الوحدة الصوتية)، و(الصورة الذهنية للصوت): مترجماً ومفسراً.

2- استغلاق مفهوم المصطلح الغربي، فمن المعلوم أن النظام اللساني الغربي يختلف عن النظام اللساني العربي؛ لعوامل فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية وحضارية ... وما إلى ذلك، وهذا الأمر أدى إلى انعكاسه على المصطلح المراد نقله، ممّا أدى إلى عدم استقرار بعض المصطلحات عند أستاذنا، فنراه مثلاً يترجم مصطلح (phonology) سنة 1962م في كتابه قضايا لغوية إلى (علم الأصوات التنظيمي)، ثم يذكر أن د.محمد أبو الفرج قد قام بترجمته إلى (علم وظائف الأصوات) في كتابه فقه اللغة، فيفضله على مصطلحه، ويعدّه أحسن ممّا فعله هو، ومع ذلك لم يستخدمه رغم المفاضلة[66]، ثم نجده عام 1969م في كتابه علم اللغة العام، الأصوات العربية، يؤثر استخدام المصطلح (فنولوجيا) عن طريق التعريب، ولكن بدت

عبارته على استحياء؛ لأنه رأى أن د. تمام حسان قد ترجم المصطلح إلى (علم التشكيل الصوتي[67]، وهي ترجمة موفقة، ورغم هذا لم يستخدم مصطلح حسان، ويبدو أنه من ذا وذاك غير مقتنع بالترجمتين. أما عام 2000م في كتابه علم الأصوات؛ أي بعد ثلاثة عقود ونيف، يضع حدّاً فاصلاً لحيرته، ويعرض المصطلح بلسان الثقة معرِّباً لا مترجماً، لأن الترجمة وفق وجهة نظره أوقعت كثيراً من اللسانيين في إشكالية ترجمته، ثم تجده يوظّف المصطلح (الفنولوجيا) في استخداماته جميعها، حتى أصبح يفسر كثيراً من الظواهر الصوتية من منظور فنولوجي. ثم يعلق قائلاً "بأن أحسن ترجمة لهذا المصطلح هو (علم وظائف الأصوات) على أساس أنه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، ومن حيث إخضاع المادة الصوتية للتقعيد، وكلا الجانبين من اختصاصات الفنولوجيا"[68]

ولا يخفى على الدارسين ما أصاب المصطلح (الفونيم) من ترادفات، عند لسانيي الغرب والعرب، فلم يتفق الغرب على مفهوم المصطلح؛ فكل مدرسة وجّهته وجهة اختلفت عن الأخرى، يقول بشر: هذا الصوت الواحد العام الذي يجمع جملة من الأفراد والتنوعات اتفق على تسميته (بالفونيم phoneme) ، وهذا المصطلح مصطلح إنجليزي، له مقابل في لغات أخرى، ومن الصعب ترجمته بكلمة مفردة عربية؛ لاختلاف وجهات النظر حوله فقد سار بعضهم وخاصة المدرسة الإنجليزية على تسمية (الوحدة الصوتية phonetic unit) ، واتفق على تسمية الرمز الكتابي للفونيم ب (grapheme)[69].

لذا تولّت المصطلحات المترادفة المقابلة لهذا المصطلح عند اللسانيين، مثل: (الحرف)، (الوحدة الصوتية)، (لافظ)، (صوتية)، (صوتم)، (صوتيم)، (مستصوت)، (فونيمية)...[70]

حتى كمال بشر نفسه فقد وقع في خلط لمفهوم المصطلح، فتراه في كتابه علم اللغة عام 1962م يعرض فصلاً كاملاً عن الفونيم مطلقاً عليه (نظرية الفونيم)، وقد تأثر برأي دي كورتيني في إضافة كلمة (النظرية) إلى المصطلح[71]. ثم تراه بعد ثلاثة عقود ونيّف يعدل عن لفظة(نظرية) إلى (فكرة) بعدما انجلى المفهوم عنده واكتملت صورته لديه، عارضاً وجهات النظر الغربية جلها التي اصطلحت عليه بالفونيم.[72] ثم تجده يقول: "والفونيم على أحسن الأقوال وأقربها إلى الصحة من وجهة نظرنا هي وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات، وليس حدثاً صوتياً منطوقاً بالفعل... فالفونيمات أنماط للأصوات (types of sounds) والمنطوق بالفعل هو صورها أو أمثلتها (variants) أو ما تسمى (phone) أو (allophone) والأخير أكثر استعمالاً وأحدث من سابقه...[73]

3- اختلاف وجهات نظر علماء الغرب أنفسهم على المصطلح ذاته، (فالفوناتيك) عند الإنجليز يقابل (الفنولوجيا)، أما عند الفرنسيين فيغلب إطلاقه على الدراسات الصوتية (الوصفية) في مقابل (التاريخية)، سواء أكانت فوناتيكية صرفة، أم فوناتيكية فنولوجية معاً.[74]

4- إطلاق مصطلحات غربية كثيرة لمفهوم واحد، نحو ما كان للمصطلح الذي يعنى بدراسة مظاهر الجهر والهمس وتطويل الحركات وقصرها...

فهو عند فيرث –المدرسة الإنجليزية– (prosodic features) وقوبل بالعربية بـ: (أنماط التطريز الصوتي)، و(التطريز الصوتي)، أما عند الأمريكان فوسم بـ(suprasegmental phonemes)، (secondary phonemes)، فكانت المصطلحات العربية المقابلة هي: (الفونيمات الثانوية)، و(الفونيمات غير التركيبية)، و(فونيمات ما فوق التركيب).[75]

العوامل الداخلية: وهي التي نتجت عن منهجيته الخاصة في توظيف مصطلحاته ومعالجتها وسببت إشكالية لمصطلحاته، وهذه العوامل هي:

1. تردده في إطلاق مصطلح على المفهوم الواحد، ومن قبيل ذلك ما كان لصوت الجيم الفصيحة: فرآه في كتابه الأصوات العربية أنه (انفجاري احتكاكي/مركب)[76]، ثم وسمه في كتابه علم الأصوات بأنه: (وقفة احتكاكية أو صوت مركب[77].
2. تطور المصطلح اللساني عنده، فقد عُدّ من الرواد الذين حاولوا ترسيخ جذور المصطلح اللساني منذ أول عهده، فوجد تطوراً لبعض مصطلحاته، وعدولاً عن بعضها الآخر، وقد يعزى هذا إلى تطور في وضوح مفهوم المصطلح، أو بسبب تأثره بالمصطلح المترجم من باب التحديث وتفضيله باستخدامه. ومنه:

* باب الأسماء ----> الاسميات
* باب الأفعال ----> الفعليات[78]
* شديدة ----> وقفات
* رخوة ----> احتكاكيات[79]
* صوت مكرر[80]----> وقفة متقطعة[81]
* أصوات انفجارية وتسمى الوقفات[82]--->وقفات انفجارية[83]

تفضيله استخدام المصطلح الأكثر شيوعاً، وقد عدّ هذا الشيوع على حدّ قول أحمد مختار عمر أنه "أهم معيار لقياس نجاح المصطلح، ومدى تقبله بين أبنا الأمة الواحدة، فلا فائدة من مصطلح يبقى حبيس الأدراج، وكم رأينا من مصطلحات تقرها المجامع دون أن يُكتب لها الرواج والاستحسان عند أهل الاختصاص"[84] ممّا دفع بشراً إلى ترك بعض مصطلحات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نحو (النطقيات) مقابل (الفنولوجيا)[85]؛ لعدم استحسانه عند اللسانيين العرب، وعدم الأخذ به، ومن ذلك تركه مصطلح المجمع (السيمة)[86] مقابل المصطلح الغربي الفرنسي (semantique) وآثر استخدام المصطلح الشائع المقابل له عن طريق التعريب (السيمانتيك).

وأخيراً، أدّى هذان العاملان؛ الداخلي والخارجي إلى وجود أهم إشكالية في المصطلح اللساني وهي مشكلة المصطلحات المترادفة، فقد تشكل عنده ما يزيد عن الستين مجموعة مترادفة على المستوى الانتقائي للمصطلحات عنده، فإذا كان هذا العدد عند بشر وحده، فما العدد الإجمالي للترادف عند علماء مصر مجتمعين؟ ثم على مستوى العلماء العرب المشارقة والمغاربة؟ ومن ثم على الصعيد العربي بأكمله؟ وهذا الكم يعيدنا إلى قولة مبارك تلك التي أشرنا إليها "فليصطلح كل نفر على كلمة، أو فليُبحْ كل كاتب لنفسه ما يراه دون سواه". فماذا يفعل القارئ أو الدارس إلا أن يقع في حيرة من أمره، ليقرأ ويقرأ حتى يستطيع الوصول إلى منهجية كل منتج، ويراجعها إذا ما أصابه

النسيان؛ لذا كان لزاماً على الجهود أن تتكاتف لتوحيد المصطلح، وإن بدت هذه القولة لازمة افتتاحية، فكلنا على معرفة بما تتداوله الندوات اللسانية ومؤتمراتها التي تتفق على كل شيء غالباً، ثم ينفضّ الجمع ولا يبقى ممّا جرى عليه إلا الذكرى. فإذا كان المصطلح (اللسانيات) قد وقع في إشكالية تطبيقه بين المشارقة والمغاربة في مؤتمر تونس المنعقد سنة 1978م[87]، أيصطلح عليه بـ (علم اللغة)، أم (علم اللسان)، أم (الألسنية)، أم (اللسانيات) وغيرها، فإذا كان كذلك، فما بالكم – كما يقول المسدّي- بالمصطلحات الوليدة عن هذا العلم؟[88]

الهوامش:

1. تهجئة سيرة: الأستاذ الدكتور كمال محمد علي بشر من مواليد دسوق، محافظة كفر الشيخ بمصر، يوم 21 ديسمبر سنة 1921م، وهو من أساطين اللسانيات الحديثة بشكل عام، وعلم الأصوات بشكل خاص، تتلمذ على يديه أغلب اللسانيين في العالم العربي، اتصل بالثقافة الغربية، وحصل على درجة الماجستير في علم اللغة، والدكتوراه في علم اللغة والأصوات من جامعة لندن عام 1955م. وبعد عودته إلى أرض الوطن –مصر– طفق يحاضر بما أوتي من علم وفكر، حتى شغل مناصب عدة، منها: رئيس قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، ووكيلاً ثم عميداً في دار العلوم، وتشرف مجمع اللغة العربية بترشيحه نائب رئيس المجمع، ثم أميناً عاماً له، كما تقلد منصب الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية في الوطن العربي، وله مشاركات في المؤتمرات العربية والغربية، ومقالات في الصحف اليومية، وترك متوناً لايستغنى عنها في الميدان اللساني، وهي: قضايا لغوية 1962م، علم اللغة العام–القسم الثاني الأصوات 1969م، علم اللغة الاجتماعي1997م، دراسات في علم اللغة 1971م، والعربية بين الوهم وسوء الفهم 1999م، علم الأصوات 2000م، صفحات من كتاب اللغة 2001م، فن الكلام 2003م ، التفكير اللغوي بين القديم والجديد 2005م، ترجمة كتاب دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، ثم له سجل في الحياة المجمعية والثقافية: خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة 1995م، مجمعيات 2004م، إذاعيات 2005. وقد حاز على جائزة صدام حسين في الدراسات اللغوية 1987، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الثانية 1989م، ثم جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة 1991م.
2. ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة، الترجمة في الوطن العربي نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة، بيروت: فبراير، د.ط، 2000م، ص37.
3. ينظر: بشر، كمال، علم اللغة العام– الأصوات العربية ، مكتبة الشباب، د.ط ، د.ت، ص12.
4. ينظر: السابق، ص 17.
5. ينظر: بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، 2000م، ص 527.
6. السابق، نفسه.
7. ينظر: السابق ، ص527-528.
8. بشر، كمال، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، القاهرة: مكتبة الشباب، د.ت ، ص29 .
9. ينظر: الأصوات العربية، ص 17.

10. ينظر: السابق، ص 29.
11. ينظر: حسان، تمام ، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، 1990م، ص161.
12. ينظر: الأصوات العربية، ص 29 الهامش.
13. الأصوات العربية، ص 99، وعلم الأصوات ، ص 202.
14. هامش الأصوات العربية، ص 29.
15. دراسات في علم اللغة، ص 140.
16. التفكير اللغوي، ص 123.
17. ينظر: الأصوات العربية، ص87، علم الأصوات، ص 174.
18. ينظر: علم الأصوات، ص512-513، 517 .
19. التفكير اللغوي، ص 29، علم الأصوات، ص22.
20. التفكير اللغوي، ص 29، علم الأصوات، ص 29.
21. التفكير اللغوي، ص 118.
22. العارف، عبد الرحمن حسن ، تمام حسان رائداً لغوياً، القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2002م، الورقة البحثية لمحمد حسن عبد العزيز، المصطلحات اللغوية، ص 313.
23. بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، مصر: دار المعارف، 1971م، ص 12.
24. أولمان، ستيفن، ترجمة: كمال بشر، دور الكلمة في اللغة، القاهرة، دار غريب، ط12، د.ت، ص 19-20.
25. ينظر على سبيل المثال مارصده: عمر، أحمد مختار ، محاضرات في علم اللغة الحديث ، عالم الكتب، ط1، 1995م، ص 34.
26. الأصوات العربية، ص 28-29، وعلم الأصوات، ص 65-66.
27. السعران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، القاهرة: دار الفكر العربي ، ط3، 1997م، ص 161.
28. ينظر: الأصوات العربية، ص 29، وعلم الأصوات، ص 67.
29. ينظر: علم الأصوات، ص 28-29.
30. ينظر: السعران، التفكير اللغوي، السعران، ص 31.

31. ينظر: دراسات في علم اللغة، ص 84.
32. ينظر: التفكير اللغوي، ص 103.
33. السابق، ص 110.
34. السابق، نفسه.
35. السابق، ص111.
36. الأصوات العربية، ص 26.
37. السابق، نفسه.
38. ينظر: دعوة إلى التزام خطة منهجية في تعريب المصطلحات، البحوث والمحاضرات، مجمع اللغة العربية، القاهرة: دورة 27، 52-53.
39. وهذه الوسيلة كما يرى الحمزاوي توّفر لمعجم العربية 95%، من مصطلحاته، ويرى أن 4.5% من المصطلحات تصيب المعربات والدخيلات، والباقي من نصيب المنحوتات، ينظر: الحمزاوي، محمد رشاد، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986م، ص 41.
40. ينظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، المغرب: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1985م، الصفحات على التوالي 88/2، 2/ 211، 125/1.
41. ينظر: الحمزاوي، المنهجية، الصفحات 45، 54، 55، 61 على الترتيب.
42. الهاشمي، التهامي الراجي، معجم الدلائلية، اللسان العربي، 1985م، مجلد 24، عدد 24، 156-157.
43. ينظر على سبيل المثال: الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، بيروت: ط1، 1985م، ص 270.
44. التفكير اللغوي، هامش ص 112.
45. السابق، نفسه.
46. مادة (بني).
47. ينظر: الأصوات العربية، ص 136.
48. ينظر: حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، ط1، 1993م ، ص35 بتصرف.
49. ينظر: الحمزاوي، المنهجية، ص41.

50. ينظر: أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار غريب، ط12، ص 162.
51. الأصوات العربية، ص 9، وعلم الأصوات، ص184.
52. علم الأصوات، ص185.
53. السابق، ص 456.
54. السابق، ص457.
55. السابق، ص 461-462.
56. ينظر: السابق، ص 125-130.
57. ينظر: السابق، ص 506-508.
58. السابق، ص 503-504.
59. السابق، ص 510-512.
60. السابق، ص 180-181.
61. المبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1995م، ص 11.
62. ينظر في هذا المجال: العباس، سليمان ، المصطلح والترجمة: مشكلات قائمة وحلول ممكنة، أطلس للدراسات والأبحاث، عمان: العدد الأول، كانون الثاني، 2006م، ص ص37-56.
63. ينظر: السابق، ص 44 بتصرف.
64. ينظر: واجهة كتابه علم الأصوات، ص 5-7 بتصرف.
65. السابق، ص 7 بتصرف.
66. ينظر: الأصوات العربية، هامش ص 29 .
67. ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 161، وينظر: السابق، نفسه.
68. علم الأصوات، ص67.
69. ينظر: الأصوات العربية ، ص157، و علم الأصوات، ص482.
70. ينظر، محاضرات في علم اللغة الحديث، ص 33.
71. ينظر: ص 31 .

72. ينظر: علم الأصوات، ص70-71.

73. ينظر: السابق نفسه.

74. ينظر السابق، ص72-73ما ذكره كمال بشر عن الفوناتيك في الفصل الثاني بعنوان (بين الفوناتيك والفنولوجيا) ص 63 وما بعدها.

75. ينظر: الأصوات العربية، ص 45. والسابق، ص 89.

76. ص 98.

77. ص197.

78. دور الكلمة، هامش ص 97.

79. الأصوات العربية، ص120.

80. السابق، ص 98.

81. علم الأصوات، ص 201.

82. الأصوات العربية، ص 98.

83. علم الأصوات ، ص 197.

84. محاضرات في علم اللغة، ص 49.

85. ينظر: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، العدد4، 1962م، 95.

86. السابق، نفسه.

87. (الألسنية واللغة العربية) ديسمبر، 1978م أصدرت توصية حاسمة تضمنها المجلد الذي ضم الوقائع، ونشره مركز الدراسات التابع للجامعة التونسية عام 1987م، بعنوان (اللسانيات واللغة العربية) وعدل عن (الألسنية)، وبعد التوصية اتفق القوم على مصطلح (اللسانيات)، ثم خالفهم أحمد مختار عمر الذي كان حاضراً وآثر مصطلح(الألسنية)، ينظر: محاضرات في علم اللغة الحديث، ط1، 1995م، ص 23 وما بعدها.

88. علم اللغة أم اللسانيات، جريدة الرياض، الخميس 28 إبريل، 2005م، العدد13457، صفحة ثقافة الخميس، الانترنت http://www.alriyadh.com/2005/04/28/article60162.html

ثبت المراجع:

- أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة: دار غريب، ط12.
- بشر، كمال، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، القاهرة: مكتبة الشباب.
- ------، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، مصر: دار المعارف، 1971م.
- ------، علم الأصوات، القاهرة: دار غريب، 2000م.
- ------، علم اللغة العام- الأصوات العربية، القاهرة: مكتبة الشباب، (د.ط)، (د.ت).
- حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، القاهرة: دار غريب، ط1، 1993م.
- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، ط3، 1990م.
- الحمزاوي، رشاد، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986م.
- الخولي، محمد علي ، معجم علم اللغة النظري، بيروت: ط1985،1م.
- السعران، محمود ، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط3، 1997م.
- العارف، عبد الرحمن حسن، تمام حسان رائداً لغوياً، القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2002م.
- عمر، أحمد مختار، محاضرات في علم اللغة الحديث، القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1995م.
- الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، المغرب: الدار البيضاء، ط1، 1985م.
- المبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1995م.
- مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة، الترجمة في الوطن العربي نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة، بيروت: فبراير، 2000م.

الدوريات:

- دعوة إلى التزام خطة منهجية في تعريب المصطلحات، البحوث والمحاضرات، مجمع اللغة العربية، القاهرة: دورة 27، 52-53.
- العباس، سليمان، المصطلح والترجمة: مشكلات قائمة وحلول ممكنة، أطلس للدراسات والأبحاث، عمّان: العدد الأول، كانون الثاني، 2006م، ص37-56.

- علم اللغة أم اللسانيات، جريدة الرياض، الخميس 28 إبريل، 2005م، العدد13457، صفحة ثقافة الخميس، الانترنت:

http://www.alriyadh.com/200528/04//article60162.html

- مجمع اللغة العربية، القاهرة: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، العدد4، 1962م.
- الهاشمي، التهامي الراجي، معجم الدلائلية، اللسان العربي، 1985م، مجلد 24، عدد 24، 156-157.